مظاهر الحياة الاجتماعية
في العهد الوطَّاسى (٨٧٦ - ٩٦١هـ / ١٤٧١ - ١٥٥٤م)

أ. أيمن السيد عبد اللطيف [١]

مُلخص:

تلقى الدراسة الضوء على المجتمع المغربى فى عهد بنى وطـــاس، وعـــن الأســـرة المغربية آنذاك وكيفية تكوينها، كما توضح أهم العادات والتقاليد لدى المجتمع فى هذه الفتـــرة التاريخية والاحتفالات والمناسبات العامة والخاصة ومظاهر الاحتفال بها، وكيف تأثر المجتمع المغربى بالظروف السياسية الخارجية والداخلية والتى كان لها عظيم الأثر فى تغيير وتطوير العديد من السلوك المجتمعى وانضواء عناصر أخرى كالأندلسيين، وتعرض الدراســـة لأهـــم الإيجابيات والسلبيات وكيف تم التصدى لها من قبل الفقهاء.

الكلمات المفتاحية: بنو وطاس – الحياة الاجتماعية – الأعياد الدينية بالمغرب – الأسرة المغربية –المغرب الأقصى – الملابس والزينة – الأطعمة بالمغرب – وسائل التسلية.

Abstract:

The study sheds light on Moroccan society in the era of Bani Wattas, and about the Moroccan family at the time and how it was formed. In changing and developing many societal behavior and the inclusion of other elements such as Andalusians, the study presents the most important pros and cons and how they were addressed by the jurists.

(١) باحث دكتوراه بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

مقدمة:

عاصرت الدولة الوطاسية أحداثاً تاريخية مهمة وفاصلة سواء على المستوى المحلى أم العالمى، ففى هذه الفترة عانى المغرب الأقصى من العديد من الانفصالات والاضطرابات الداخلية، وكان ذلك جزءاً من حالة الضعف التى أصابت العالم الإسلامى شرقاً وغرباً، بالإضافة إلى ازدياد النشاط الأيبيرى للاستيلاء على ثغور المغرب البحرية، فبعد استيلاء البرتغال على سبتة عام ٨١٨هـ/١٤١٥م، واصلوا استيلائهم على بقية ثغور المغرب حتى سقوط غرناطة عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م، ثم توالت الأحداث التاريخية متتالية فنشطت حركة الكشوف الجغرافية وتم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٢هـ/١٤٨٩م الذى أدى إلى القضاء على سيطرة المسلمين على منافذ التجارة العالمية.

فكان لهذه الأحداث العديد من النتائج الاجتماعية والاقتصادية على مستوى العالم الإسلامى بوجه عام وعلى بلاد المغرب الأقصى بوجه خاص، فإن الأوضاع الاجتماعية فى أى مجتمع تتأثر تأثراً كبيراً بالأوضاع السياسية والاقتصادية، ومن ثم فقد تأثر المجتمع المغربى الوطاسى سواء فى التركيب السكانى أم فى السلوكيات والعادات الاجتماعية.

وسوف نلقى الضوء على الظواهر الاجتماعية بالمجتمع المغربى خلال الحكم الوطاسى للمغرب الأقصى، ومدى تأثرها بالأحداث الداخلية والخارجية للبلاد، سواء ما يتعلق بالعادات الخاصة بالاحتفالات الدينية والاجتماعية سواء كانت أعياداً إسلامية كالاحتفال برؤية هلال شهر رمضان وبالعيدين الفطر والأضحى، أم شعائر استجدت على المجتمع المغربى كالاحتفال بالمولد النبوى وعاشوراء، أم أعياداً لليهود والنصارى شاركت فيها بعض العوائل المغربية.

كما سنناقش أهم هذه العادات سواءً كانت إيجابية أم سلبية، بسبب تأثر المجتمع بالغزو الأيبيرى أم بالهجرة الأندلسية، مع رصد لأغلب هذه العادات فى الاحتفالات الدينية والاجتماعية أم فى الأمور الحياتية للمجتمع المغربى آنذاك، مع توضيح لموقف الفقهاء منها ومشاركتهم فى محاربة السلبية منها.

مشكلة الدراسة:

من صعوبات الدراسة قلة المصادر التى تحدثت بشكل مباشر عن الدولة الوطَّاسية بشكل عام وعن المجتمع المغربى فى هذا العهد بشكل خاص، حيث أن المؤرخين القدامى منهم والحاليين يوجهون أقلامهم فى الغالب نحو كتابة التاريخ السياسى والعسكرى، لذلك اعتمد

الباحث بشكل أساسى فى هذه الدراسة على كتب التراجم والطبقات والنوازل لاستقراء الأحوال العامة للمجتمع المغربى فى هذه الفترة التاريخية من كافة النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومدى تأثر المجتمع بالنواحى السياسية.

ومن صعوبات هذه الدراسة استخلاص المعلومة من كتب التراجم من الأمور المهمة والشاقة فى نفس الوقت، حيث تتطلب دراسة هذه التراجم بعناية وتوظيف ما بها من معلومات فى موضوع البحث، ومن الصعوبات أيضاً أن هناك العديد من النوازل أوردت أحداثًا غير محددة بزمان أو بمكان، ولذلك كان على الباحث أن يسعى جاهداً لمعرفة الفترة الزمنية التي كتبت فيها النازلة، وذلك من خلال الوقوف على ترجمة الفقيه الذي أفتى في النازلة، أو شيوخه، أو قراءة جواب الفقيه الخاص بتلك النازلة، وبذلك يسهل تحديد الفترة الزمنية. وأحياناً لم يجد الباحث ترجمة لبعض الفقهاء، ولم يستطع تحديد الفترة الزمنية لبعض النوازل، ولهذا اقتضت منه الأمانة العلمية ترك تلك النوازل، مستفيداً ببعض النوازل التي تتناول قضايا مشابهة وتدخل في نطاق الفترة الزمنية للدراسة.

أهداف الدراسة:

١- إلقاء الضوء على المجتمع بالمغرب الأقصى خلال حكم بنى وطاس، وأهم العادات والتقاليد فى الزواج وبناء أسرة.

٢- رصد احتفالات المغاربة بالأعياد الدينية والمناسبات العامة وكيفية إظهار البهجة والسرور بها.

٣- تتبع مدى تأثر المجتمع المغربى بالأحداث العالمية وخاصة سقوط غرناطة ونزوح العديد من الأندلسيين إلى المغرب الأقصى.

٤- رصد أهم العادات الاجتماعية سواء كانت إيجابية أم سلبية بالمجتمع المغربى خلال فترة الدراسة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فى إلقاء الضوء على جوانب الحياة للمجتمع المغربى فى عهد بنى وطَّاس (٨٧٦ - ٩٦١هـ / ١٤٧١ - ١٥٥٤م)، حيث أنه لم يتم تناولها باستفاضة فى الدراسات البحثية التى قامت بدراسة هذه الفترة التاريخية والتى وسموها بالغموض، وبنوا هذه النظرية انطلاقاً مما كان يعيشه المغرب آنذاك من حروب وفتن وأزمات اقتصادية وسياسية،

إلى جانب قلة المعلومات بالمصادر التاريخية عدا بعض الإشارات وكتب التراجم التى تتحدث عن هذه الحقبة.

أولاً :- الأسرة وعادات الزواج:

يُعد الزواج من المناسبات المهمة فى حياة المجتمع، فهو لم يكن ارتباط بين شخصين فحسب بل كان ارتباطاً بين عائلتين، لذلك كانت مناسبة الزواج تشغل أفراد العائلتين بخاصة الآباء، ويستمر بين العائلتين إلى أن يتم الإعلان عنه بالمسجد وعقد الزواج(١). وكانت عادة الناس عند الخطبة التواعد على الإيجاب عن طريق الخاطبة التى كانت تقوم بدور مهم فى إتمام الخطوبة وعقد الزيجات، فكانت تتولى التمهيد للاتفاق بين أهل العروسين(٢)، ثم يذهب أهل العريس إلى منزل العروس للتحدث مع أهلها والاتفاق معهم على كل ما يتعلق بالزواج من صداق وهدايا وما إلى ذلك(٣)،وبمجرد ما يعِدَه الأب بتزويجه ابنته يدعو الأب أصحابه للاجتماع فى المسجد ويحضر معه عدلان يكتبان العقد ويحددان شروط الصداق بحضور الخاطب والمخطوبة(٤)، ثم يرسل العريس بعد ذلك الى والد العروس النقد من الصداق والشمع الذى يُبعث فى مثل تلك المناسبات(٥).

وكان الصداق أو المهر يُقَدَم من العريس، ويُقَدَم الجهاز من العروس حيث كان الجهاز يعادل قيمة المهر، ومن الصداق ما كان يُدفع نصفه حال ويسمى النقد والنصف الآخر مؤجل وهو المؤخر، ولا يكون قبل الدخول صداق(٦)، وما كان يشتريه الخطيب من كسوة وحلى

---

(١)الونشريسى (أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسى ت٩١٤هـ/م): "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د/ محمد حجى، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ج٣، ص١٢١.

(٢) المصدر السابق،نفس الجزء، ص١٤٣؛ سعيد عاشور: "الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية"، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٠، ص١٠٢.

(٣) الونشريسى، المصدر السابق،نفس الجزء، ص٢٤٧ وما بعدها.

(٤)الحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف بليون الإفريقى: "وصف إفريقيا"، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجى، محمد الأخضر، الطبعة الثانية: ١٩٨٣، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ج١، ص٢٥٤.

(٥) الونشريسى، مصدر سابق، ج٣، ص١٦١ وما بعدها، ص٢٤٧.

(٦) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٧١.

يهادى بها العروس ويخبرهم بقيمتها يحسب ذلك من الصداق المعجل، هذا بخلاف ما يهادى به فى الأعياد والمناسبات حيث جرت العادة أثناء فترة الخطوبة أن يهادى العريس عروسه فى الأعياد والمناسبات هدية لا تعدو حناء وصابون وفاكهة(١)، ووجدت حالات كان الصداق فيها جميعه قبل الزواج ويذكر ذلك فى العقد على أن يكون النصف نقداً والنصف مهراً، فالنقد منه يدفع قبل الدخول والمهر وهو نصف الصداق يدفع بعد الدخول(٢).

وإذا كان الزوج متوسط الحال فإنه يقدم صداق نحو ثلاثين ديناراً معجلة وجارية سوداء تبلغ نصف هذا القدر ثمناً وقطعة ثوب من حرير وكتان، ومناديل من حرير للرأس، وتقضى العادة بأن يهدى ثلاثة قفاطين وثلاثة فساتين وعدة أقمصة ونعلاً وأغطية للفرش مزخرفة وثمانية فرش وأربع وسائد مطرزة توضع إلى جانب الصوانين، بالإضافة إلى زريبة وثلاثة أغطية لسرير النوم وأشياء أخرى، وهو ما يكبد الزوج المتوسط الحال نفقات باهظة، أما والد العروس فيتحمل أضعافاً مضاعفة(٣).

وقد أمدنا الونشريسى بإشارة قيمة تبين صداق إحدى الزوجات فى المغرب فى ثنايا نازلة عرضت على أحد الفقهاء، فيذكر أن الصداق النقد كان عبارة عن خلاخل فضة قيمتها عشرة دنانير من الذهب، وأقراص ذهب من دينارين وعُقد جوهر قيمته ستة دنانير من الذهب، أما الثياب أو الكسوة فمنها ثوب من الكتان وآخر من الحرير، وملحفة قطن وفراش من القطيفة علاوة على هدية طعام، وأحياناً كان يشترى من الصداق وطاء ولحاف وفرش وبعض الصحاف والأقداح(٤).

وكان من عادات قرى المغرب فى أنكحتهم أنهم لا يسمون صدقاتهم ولا يشهدون عليها وقت العقد لكن عند الابتناء، ومن المعروف فقهياً أن الصداق عوض عن البضع وأنه ملك للزوجة لها أن تأخذه من وليها وقتما شاءت(٥)، وكان عندهم معروف مقدر لا يزاد لجمال ونحوه ولا ينقص لقبح وغيره، فعادة أهل المغرب أن الرجال ينكحون النساء بالأنساب، وأن

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٩٦.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٦٣.

(٣) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٤؛ إبراهيم حركات، "المغرب عبر التاريخ، من بداية المرينين إلى نهاية السعديين"، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، طبعة: ١٤٢٠-٢٠٠٠،ج٢، ص٢٠٩.

(٤)المعيار، مصدر سابق، ج٣، ص١٠٠ ، ١١٦.

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٤٦.

المهر معروف على عاجله وآجله، وإن كان له يسر ربما دفع المعجل عند التعريس، وأما المؤجل فلا يطلب به إلا بعد موت أو فراق(١)، وقد يسجل فيه على الزوج قسط من الدراهم تستوفى فى مدة يتفق عليها بين وكيلى الزوجين، ويظهر ذلك فيما ورد فى عقد زواج السلطان أحمد بن محمد الوطاسى بالشريفة الحرة بنت على الراشدى العلمى، بقوله: "النقد المؤجل لها فى ذلك شطر الدراهم والمماليك مقسطاً لها عليه بتقسيط السواء والاعتدال، والتوالى والاتصال، على أعقاب عشرين عاماً من تاريخ هذا الانتظام"(٢).

ومن الجدير بالذكر أن هناك من الآباء من كان يهب ابنته فى صغرها بعض الهبات والعطايا لتجهيزها عند زواجها، فهناك إشارة إلى رجل وهب ابنته خمسين رأساً من الغنم ونصف كرمة من أجل ذلك(٣).

وجرت العادة فى بعض المواضع المغربية أن الأب إذا جهز ابنته بحلى فإنما هو على سبيل العارية(٤) والتجمل بيد الابنة وإن طالت السنون، وأنه متى أراد استرجاع شيء منه استرجعه، وفى حالة وفاته يورث عنه(٥)، وقد ورد بإحدى النوازل اتفاق بين والد الزوجة والزوج على أن يكتب فى عقد الزواج صداقاً قدره مائتى دينار ثم يرد والد الزوجة للعريس بعد ذلك مائة وخمسين ديناراً بمعنى أن الصداق الحقيقى الذى دفع لا يعدو خمسين ديناراً والمقصود من ذلك التفاخر والسمعة بالمهر الذى دفع لابنته(٦).

ومن ناحية أخرى عرف الوطاسيون نظام ضمان جهاز العروس حيث كان والد العروس يشترط أحياناً على الزوج أن يضمن جهاز العروس قبل الدخول بها، غير أنه لم يكن من حق والد العروس أن يمنع بعض الجهاز عن ابنته إذا أراد إخراجها إلى زوجها باستثناء

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٦٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥.

(٢)أبو العباس أحمد بن خالد السلاوى الناصرى: "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" القسم الثانى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٥٥، ج٤، ص١٥٤.

(٣) الونشريسى، مصدر سابق، ج٣، ص٢٤٦.

(٤)العارية لغة اسم لما يعار، وفى فروع الفقه الإسلامى هى معاملة بين المعير والمستعير يبيح فيها المعير منفعة العين المستعارة بغير مقابل، وهى أمانة، انظر: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلى الحنفى: "كتاب العارية"، دار الخير، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص ص ٧٣-٧٧.

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٣٦ وما بعدها.

(٦) المصدر السابق، نفس الجزء، ٢٦٣ ، ٢٦٦.

العقارات والغلات[١]، كما كان والد العروس أحياناً يشترط على زوج ابنته أن يقدم هدية قبيل الزفاف عبارة عن ثورين أو كبش وثور، وهذه الهدية كانت تعتبر ملكاً للزوجة ولها الحق فى أخذها وتسمى بهدية العرس[٢]، ومن الجدير بالذكر أن بعض الرجال الأثرياء كانوا يسوقون فى عقود الزواج هبات لأزواجهن[٣].

وكان يتم كتابة عقد الزواج فى أحد الجوامع أو المساجد على أيدى القاضى أو صاحب الأنكحة، أما المواضع البعيدة عن الحاضرة كالقرى والحصون فكان إمام المسجد هو الذى يتولى عقد القران دون إذن من القاضى لبعد المسافة بينهما[٤]، ويتم الإشهار فى القرية أو المدينة أن فلاناً تزوج فلانة بنت فلان، ويقوم قرابته وأصحابه بتهنئته، ويقوم عقب ذلك بتقديم هدية مناسبة إلى عروسه، وأهل المغرب بوجه عام كانوا يميلون إلى زواج الأقارب لصلة الرحم غير أنه كانت تحدث أحياناً بينهم اختلافات حول قيمة المهر والصداق[٥].

وبعد العقد تبدأ أسرة العروس فى التجهيز لإخراج الجهاز، وجرى العرف على أن يخرج والد العروس ضمن الجهاز بعض الثياب الثمينة باسم الزوج، ثم يستردها بعد الزفاف على أساس أنها كانت عارية، وأنها وضعت مع الجهاز بهدف التزيين والتباهى والافتخار لا على سبيل العطية[٦].

وكان الاتفاق على موعد الزفاف يتم بعد الانتهاء من إعداد الجهاز، فكان من المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية من لحم الى بيت والد العروس لكى يُعدوا طعاماً يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف وفى بعض الأحيان كان الزوج يرسل إلى عروسه قبيل الزفاف بعض العصفر لصبغ ثيابها من قبيل المهاداة، وقد يبعث إليها ببعض المال تستعين به العروس لشراء ما يلزمها قبل الزفاف وهو ما يسميه الونشريسى "بحق العرس"،

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٠٠ ، ١١٦.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٤٣ ، ٤٦ وما بعدها.

(٣) إيمان رمضان باشا سالم: "الأسرة فى المغرب الأقصى فى العصر المرينى (٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م)" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٤٤٠/٢٠١٨، ص٤٩.

(٤) الونشريسى، مصدر سابق، ج٣، ص٩٧ ، ١٩٨؛ سعيد عاشور، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٥) الونشريسى، المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٦١ وما بعدها، ص٢٤٧.

(٦) المصدر السابق، نفس الجزء، ٢٦٣ ، ٢٦٦.

وتتمثل هذه المشتروات فى بعض الطيب والحناء والأصباغ أو لكراء الحلى التى تتزين بها العروس ليلة الزفاف، ولم يكن ذلك حقاً من حقوق الزوجة ولكنه كان من العادات الجارية(١).

وكانت حفلات الزواج تستمر عادة لمدة أسبوع، والأسر الثرية كانت تنفق مبالغ طائلة فى حفلات الزواج(٢)،ويبدأ الاحتفال بالعرس بمنزل أبى العروس فى مساء اليوم السابق على الزفاف، حيث يدعو الأقارب والأصدقاء ويعقد لهم مأدبة، وتستمر الأفراح طيلة الليل يصحبها الرقص، وفى اليوم التالى تأتى النسوة المختصات بتجميل العرائس (الماشطات) ويمشطن العروس بعد تزيينها ببعض المساحيق، ويقمن برسم الحناء على اليدين والرجلين، وتجلس هى على منصة عالية ليشاهدها الحاضرات ثم تقدم المأدبة الثانية(٣).

أما العريس فيدعو عدداً من الأشخاص وتتوارد عليه هدايا من أصدقائه وتتكون من أوان مليئة بالإسفنج وأخرى بالخرفان المشوية، كما يقوم بدوره بتوزيع هدايا على أصدقائه ويقضون ليلة بحضور جوق موسيقى يطربهم بنغمات الموسيقى الأندلسية ويقيم مجلساً من مجالس الطرب والرقص، ويرقص كل واحد منهم على حدة، وعندما ينتهى من رقصه يستخرج من فمه قطعة نقد ويقذفها فوق سجادة، وترقص النساء بمعزل عن الرجال، فلهن حفلاتهن الراقصة ومطرباتهن(٤).

وتزف العروس فى أبهى حالها وأجمل زينتها على محفة مثمنة الشكل مصنوعة من الخشب مسدلة عليها الستائر الجميلة المصنوعة من الحرير والديباج، وتحملها الحاشية على الأكتاف حتى منزل العريس(٥)، ويتألف الموكب من أصدقاء والد الزوجة وأصدقاء الزوج وقارعى الطبول والمزامير ويتقدم الموكب أصدقاء الزوج وهم يحملون المشاعل، فى حين يتبع أصدقاء والد العروس هودجها، ويسير الموكب من الشوارع الرئيسية حتى يصل إلى منزل العريس فيسلمها له أبوها وأقاربها. وتقف إمرأة على باب الغرفة لتنقل خبر عفاف العروسة، ويقدم لهذه المرأة الطعام من أهل الزوج وتستقبلها أم العروس بالتكريم وتقدم لها

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٦.

(٢)روجيه لوتورنو: "فاس في عصر بنى مرين"، ترجمة: نقولا زيادة، مكتبة لبنـــان، بيـــروت، ١٩٦٧،ص ص١٠٠-١٠٢.

(٣) ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٠.

(٤) المرجع السابق،نفس الجزء، ص٢٠٩.

(٥)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠٢.

الطعام أيضاً، وبعد فض البكارة تعلن ذلك الخادمة بعد أن يسلمها الزوج منديلاً ملطخاً بالدم دليلاً على محافظة البنت على شرفها، وقد ظلت هذه العادة البغيضة مسترسلة إلى وقتنا الحالى فى عدة أوساط بالدول الإسلامية، أما إذا ثبت للزوج أن العروسة غير عذراء فيعيدها لأبويها، ويعد ذلك عاراً يلحق بأسرتها وذويها(١).

وكانت الاحتفالات بالزواج أقل فخامة فى الطبقات الفقيرة، وكذلك إذا كانت العروس ثيباً. ومما يتلاحظ فى الأسر المغربية فى ذلك العصر عدم انتشار التعدد فى الزواج فأغلب الأسر المستقرة كان للزوج زوجة واحدة، بل كان كثيراً ما يشترط بالعقد ألا يتخذ الزوج زوجة ثانية، كما أن التسرى كان محدوداً بالمجتمع(٢).

وكانت مآدب العرس تقام فى بيت الزوج لمدة ثلاث ليالٍ؛ الأولى منها ليلة الدخول بزوجته، والثانية فى الليلة التالية وتقتصر على النساء، أما الثالثة فبعد مضى أسبوع من الزفاف ويحضرها والد العروس وأقاربها، وتقضى العادة عند الأشراف والتجار بأن يقدم لحم ثور وخروف ودجاج مسلوق وأنواع من الخضر، وتوضع أمام المدعوين اثنتا عشرة قصعة فوق مائدة خشبية مستديرة، أما عند عامة الشعب فيقدم حساء مصنوع من خبز خفيف يماثل (المكرونة) يغمس فى مرق اللحم فى قطع كبيرة، ويقدم الحساء فى وعاء كبير موزع فيه قطع قليلة من اللحم، ومن العادة أن يرسل والد العروس هدايا مهمة لبيت الزوج، مثل علب الحلوى والخراف(٣)، أما العروس فيقيم والدها مأدبتين إحداهما ليلة اليوم الذى ستغادر فيه العروس بيت والدها، ويحضر فيها أصدقاء العائلة والثانية فى اليوم التالى وقت تزيين العروس، وهذه المآدب يتحمل مصاريفها الموسرون أما الطبقة الشعبية فيتكون طعامها بهذه المناسبة من ثريد يشتمل على الخبز والمرق واللحم(٤).

وتعددت الفتاوى المتعلقة بالولائم الماجنة واقترانها باللعب واللهو والغناء وسماع الطرب والضرب بالأكف، فكانت صفة العرس ترتبط بالمزامير ويحدث الاختلاط وشرب

---

(١) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٩ وما بعدها.

(٢)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠٢.

(٣) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٤ وما بعدها.

(٤) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٠.

الخمر وغيرها من الانحرافات التى رافقت الأعراس والتى تحولت إلى عرف يصعب التخلص منه(١).

وفى العادة كان العريس لا يخرج من بيته إلا بعد سبعة أيام، ووفقاً للأعراف السائدة فى المغرب الأقصى كان يذهب مسرعاً لشراء كمية معينة من السمك، ويعطيها لأمه كى ترمى بها على قدمى العروس، حيث يعد ذلك فألاً حسناً لإنجاب الذرية(٢).

- **المسكن:**

وكان منزل الزوجية بسيطاً وروعى فيه المحافظة على حرمة البيت فكان هناك جدار إلى جهة الشارع لا يوجد به أى منافذ سوى بضع كوى تمكن الناظر من الداخل أن يرى ما يحدث فى الشارع دون أن تعرضه لخطر الرؤية من الخارج، وباب خشبى متين تغطيه زخارف من رؤوس المسامير الحديدية ومقرعة يقوم الزائر بضربها ليعلن عن وجوده، وبعد الباب يوجد ممر ضيق منخفض السقف بحيث لا يمكن للزائر أن يرى ما بداخل البيت، وبذلك يتاح للنساء الوقت الكافى للاختفاء لمجرد أن يجتاز الزائر الباب، وينتهى الممر بعرصة مربعة أرضها من الرخام أو الزليج الملون، وقد يكون فى وسطها بركة أو نافورة ببيوت الأثرياء، ويتألف البيت من طابق أرضى فقط للبيوت البسيطة، أما بيوت الأثرياء فلها طابق ثان وقد يكون للبيت طابق ثالث، وكانت الممرات ترتكز على أعمدة مربعة ترتفع متراً عن الأرض وفى الغالب تكون مزخرفة بالزليج الملون، والجزء العلوى من الأعمدة من الخشب المحفور أو الجبس، ورؤوسها تحمل وصيداً من الخشب المحفور يدور على جدران ثلاثة، والممرات تتراوح عرضها من نحو المتر إلى المترين، ويقوم على جانبى الباب نافذتان متشابهتان يدخل منهما النور إلى الغرف، والبيت الذى يتكون من طابقين كان يحتوى على ست غرف ثلاث بكل طابق مساحتها حوالى عشرون متراً، وفى زاوية البيت يوجد المطبخ والدرج(٣).

أما عن الأثاث فكان من الفرش المكسوة بالقماش المطرز والوسائد كانت تدور بالجدران، وقد تكسى أرض الغرفة بالسجاد، وكان السطح فتكون من رفراف محاط بجدران مرتفعة يستعمل لنشر الغسيل وجفيف الفواكه والخضر، ويستخدم أيضاً لجلوس النساء، وكان

---

(١) الونشريسى، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥١.

(٢) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٠.

(٣)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩١-٩٦.

كل بيت تسكنه أسرة واحدة التى عادةً ما تشمل الأب والزوجة والأولاد المتزوج منهم والغير متزوج وخادماً أو خادمين، وفى البيوت الثرية يوجد عدد من الرقيق[١]. هذا هو الإطار العام لمنزل العائلة فى العهد الوطاسى والتى كانت تزيد فى عدد الغرف وفى المساحة على حسب ثراء كل عائلة، أما بالنسبة للأغراب من المسافرين والعمال والتجار فكانوا يقيمون بالفنادق التى كانت تُجهز بأثاث بسيط عبارة عن حصيراً وغطاء[٢].

- **الاحتفال بالمولود:**

وقد اهتم أهل المغرب الأقصى بالاحتفال عند ولادة طفل للأسرة خاصة وإن كان المولود ذكراً وتسمى بالعقيقة أو الختان، وهى وليمة تتكون من أحد الخراف[٣]، ونوع من الحلوى اشتهر به المغاربة ويسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء والأقارب والأصدقاء، ويتم تسمية المولود فى اليوم السابع بعد ولادته ويتم ختانه عندئذٍ[٤]، وفى ذلك اليوم يدعو والد الطفل الحلاق الذى يعطى هدية ديناراً أو اثنين، وعندما يتم الحلاق (المزين) العملية ألبس الولد رفيع الثياب وحمل على بغل عبر المدينة[٥]، ويقدم الأب والأصدقاء هدية إلى الحلاق وهى نحو دينار أو دينارين أو أكثر،ويتابع الحفل بنغمات موسيقية والرقص وتناول طعام الوليمة، وكان يصحب هذه المجالس غالباً النفخ بالبوق والضرب على العود واحتساء الخمر[٦].

وقد تؤجل الطهارة إلى أن يبلغ الطفل سبع سنوات أو ثمانى من عمره، وكانت تربية الصغار مسئولية النساء كالأم والجدة والعمات والخالات والخدم، وعند بلوغه يتعهد الأب إرشاده فى دروسه وعمله، أما البنت فلا يبدى أهلها هذه الفرحة عند ولادتها، وتظل البنت تحت حكم الأم إلى أن تتزوج[٧].

ثانياً:- الملابس وأدوات الزينة:

---

(1)Lewis (Bemard): Race et couleur en pays d, Islam, Paris, 1982, pp23-24.

(٢)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٦.

(٣) الونشريسى، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٢.

(٥)إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٠.

(٦) الونشريسى، مصدر سابق، ج٦، ص١٤٦ وما بعدها، ج١١، ص٩٢.

(٧)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص١٠٣.

اختلفت ثياب أهل المغرب حسب الطبقة الاجتماعية وثرائها، فكانت ثياب الطبقة الوسطى عبارة عن ثيابٍ مصنوعة من قماش مستورد(١)، وتتكون من سترة قصيرة مطابقة للجسم تلبس فوق القميص وفوقها رداء مخيط من الأمام ثم البرنس(٢)، ويعتمرون طاقية يلفون حولها لفة تدور بالرأس دورتين وتمر تحت الذقن(٣)، وكانوا يلبسون السراويل المصنوعة من القماش ولا يلبسون الجوارب، وعند ركوب الخيل كانوا ينتعلون الحذاء، أما الطبقات الأخرى من العوام، فكانوا يلبسون السترة والبرنس بدون الرداء المذكور، والطبقات المعدومة كانوا يلبسون ثياباً بيض مصنوعة من الصوف المحلى الخشن وكان يسمى الحائك أو "الكسوة(٤)، وتظهر التأثيرات الأندلسية فى القلنسوة الزرقاء وكذلك الأحذية التى عرفت بالمواق(٥)، ومن ثيابهم ثوب رومى كان يلبس فى الشتاء ليقى من البرد يسمى "الدرندين"(٦).

أما كبار السن من الأعيان والعلماء فكانوا يلبسون سترة واسعة عريضة الأكمام(٧)، أما عامة الناس يلبسون السترة والبرنس بدون عباءة أو قمصاناً ويربطون عليها الأحزمة(٨)، ولا يضعون على رؤوسهم سوى تلك الطاقيات البسيطة، والفقراء منهم كانوا يرتدون ثوباً أبيض من نسيج صوف البلاد الخشن وبرانسهم من نفس النسيج(٩)، وكانوا لا يلبسون الجوارب، وينتعلون القباقب التى كانت تصنع من خشب التوت الأسود أو الأبيض وقد تصنع من خشب

(١)لسان الدين ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلمانى الخطيب ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): "اللمحة البدرية فى الدولة النصرية"، القاهرة، ١٣٤٧، المطبعة السلفية ومكتبتها، ص٢٧ وما بعدها.

(٢)رينهارت دوزى: "المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب"، الدار العربية للموسوعات، ترجمة: د أكرم فاضل، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م،ص٧٠ وما بعدها.

(٣)الونشريسى، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٥٨؛ أحمد مختار العبادى، "مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس"، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣، ص٩٦.

(٤) أحمد بوشرب: "دكالة والاستعمار البرتغالى إلى سنة إخلاء آسفى وأزمور"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠٤-١٩٨٤، ص١١٠.

(٥) الجمع أمواق، وهو خف غليظ يلبس فوق خف أدق منه، انظر: العبادى،مرجع سابق، ص٩٦.

(٦) الونشريسى، مصدر سابق، ج١١، ص٢٧ وما بعدها.

(٧)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٦-٩٨.

(٨)القلقشندى (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندى ت: (٨٢١هـ/١٤١٨م): "صبح الأعشى في كتابة الإنشا"، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٣هـ-١٩١٥م، ج٥، ص٢٠٣.

(٩) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥١ وما بعدها.

الجوز والليمون والعناب، وهى جيدة الصنع مزخرفة مصفحة بالحديد موشاة بغطاء من جلد مطرز بالحرير، ولا يستطيع الفقراء انتعال هذه النعال لبهظ ثمنها(١).

أما لباس النساء فى العهد الوطاسى فقد تميز بالجمال والبساطة، ففى أيام الحر كنَّ لا يرتدين سوى قميص يحزمنه بنطاق، وهذه النطاقات عادة تصنع من الصوف أو الحرير وتكون ضخمة ومصنوعة من ضفائر غليظة، وفى الشتاء كن يلبسن ثياباً عريضة الأكمام ومخيطة من أمام كثياب الرجال وعندما يخرجن يلبسن سروايل طويلة تستر كل سيقانهن، وخماراً يغطى الرأس وسائر الجسم(٢)، وكن يغطين الوجه بنقاب من القماش السميك على أن يترك به فتحة للعين(٣)، أما نساء العامة والفقراء فكن يضعن كحلهن فى مكحلة مصنوعة من الحديد أو النحاس، ويلبسون كساء يلتف على أجسامهن بإحكام ويتأزرون بنوع من القماش يدعونه فوطة(٤), ويحجبن الوجه كذلك بقطعة قماش لا تظهر منها إلا عيونهن.وكانت نساء الطبقات العليا يتحلين بالأقراط الذهبية الكبيرة المطعمة بالحجارة الكريمة والأساور الذهبية التى تزين كلا المعصمين، أما نساء الطبقات الفقيرة فيلبسن أساور من الفضة وكن يلبسن الخلاخيل(٥).

أما لباس أهل الذمة بالمغرب الإسلامى فى عهد الوطاسيين فكان من الواجب أن يكون زياً يميزهم عن المسلمين، وذلك بلبس الرقاع على الأكتاف وشد الزنار على الوسط، فكان اليهود محتقرون من طرف الجميع، ولا يحق لأي واحد منهم أن ينتعل أحذية وإنما يلبسون نعالاً من قش، ويتعممون بعمائم سود، ومن أراد منهم أن يضع قلنسوة فعليه أن يخيط عليها قطعة من ثوب أحمر، وإن حاول اليهود التشبه بأزياء المسلمين إلا أن ذلك كان منهى عنه مما

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٤٣ وما بعدها.

(٢) الخمار يعكس تأثيراً شامياً وفد إلى الأندلس مع قيام الدولة الأموية، وظل متخذا فى الأندلس حتى سقوط مملكة غرناطة وكان يتمشى مع الزى الأندلسى الذى تأثر به المغرب فى العصر الوطاسى. انظر: أحمد بوشرب، مرجع سابق، ص١١١.

(٣)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٩ وما بعدها.

(٤) وهو يشبه المئزر، رينهارت دوزى، مرجع سابق، ص٣٥٥ وما بعدها.

(٥) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٤١ ، ٢٥٢؛ روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٩ وما بعدها.

يعرضهم للعقوبة، وتبلغ الجزية المضروبة على يهود فاس أربعمائة مثقال في الشهر تؤدي للخزينة الملكية(١).

وكانت ملابس التجار والصناع من الجوخ الأسود والأزرق، ويلبسون صايات طويلة تتدلى إلى منتصف سيقانهم قد طرزت من الباطن أكمامها نصفية لا تكاد تتعدى المرافق(٢)، أما عامة الشعب فكانوا يلبسون سترات ذات ثنايا أربع قد تصل إلى الركبة ويلبسون فوق برنس، ويضعون فوق رؤوسهم قلانس متواضعة تشبه قلانس الموريسكيين فى الأندلس وهى تغطى وسط الرأس وتتخذ شكلاً مخروطياً غير متكامل، وكسوة فقرائهم قماش أبيض منسوج من صوف بلدى خشن، وبرانسهم من القماش ذاته(٣).

وكان يوجد أماكن لغسل الثياب وتنظيفه فى العهد الوطاسى، ويحدثنا الوزان المتوفى عام (٩٥٧هـ/١٥٥٠م)عن أصحاب هذه الدكاكين بالسوق ويصفهم بأنهم من فقراء القوم وأن دكاكينهم بها معامل ثبتت فيها أوان كالأحواض يقومون بالغسل فيها للقمصان والأغطية وغيرها من الثياب ثم ينشرونها على الحبال لتجف ثم يطوونها بمهارة(٤).

ظهر التأثير الأندلسى على المجتمع الوطاسى كما رأينا فى وجود أنواع مستحدثة من الثياب ظهرت فى الشوشة الزرقاء فى لباس الرأس والتى لم تكن معروفة من قبل دخول الأندلسيين للمغرب حيث كان يجبرهم النصارى على وضعها على رؤوسهم بالأندلس تمييزاً لهم عن العناصر النصرانية(٥)، ورسخ هذا الزى عند الطبقة الغنية بالمجتمع المغربى، وكذلك الثياب البيضاء التى شاع استخدامها بالأندلس واستحدثها زرياب فى بعض المناسبات خاصة يوم المهرجان المسمى بيوم العنصرة ويأتى فى الرابع والعشرين من شهر يونيو، ويستمر إلى

---

(١) الونشريسى، مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٤ – ٢٥٦؛ الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٣ وما بعدها؛ مارمول كربخال: "إفريقيا"، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى محمد زنيبر محمد الأخضر، دار نشر المعرفة، ١٤٠٩/١٩٨٨، ص١٥٦.

(٢) مارمول كربخال، المصدر السابق، ص١٧٥؛ رينهارت دوزى، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٣) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥١ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٣٩ وما بعدها.

(٥)المقرى التلمسانى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى القرشى، ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج٢، ص٧٥٢.

أول شهر أكتوبر، فكانوا يخلعون الثياب الملونة ويلبسون الثياب البيضاء، ولازالت هذه العادة مستمرة حتى يومنا هذا(١).

وهكذا تعددت أنواع الألبسة بالمغرب الوطاسى وبعضها مازالت موجودة بأسمائها حتى اليوم، بالإضافة إلى أثاث البيت كالبسط والنمارق والفرش والستور والديباج والملاحف والطيلسة والأكسية، وغيرها مما يدل على اتساع قطاع الإنتاج من النسيج والخياطة فى بلاد المغرب آنذاك.

ثالثاً:- الأطعمة:

كان النظام الغذائى فى العهد الوطاسى يتضمن بوجه عام ثلاث وجبات فى اليوم، كانت الأولى منها تأتى بعد صلاة الفجر وتتكون من خبز وفاكهة وثريد أو عصيدة تزيد كثافتها فى الشتاء عنها فى الصيف، والثانية كانت تعقب صلاة الظهر وتكون عبارة عن أكلٍ خفيفٍ كالخبز والسلطة والجبن أو الزيتون، وهذه الوجبة تكون خفيفة فى الشتاء وثقيلة فى الصيف، أما الوجبة الثالثة فتكون بين صلاتى المغرب والعشاء وهى عبارة عن الخبز مع البطيخ أو العنب أو اللبن وفى الشتاء يأكلون اللحم المطبوخ مع طعام يسمى الكسكس، وقد كانت الخضرواتتوجد بشكل أساسى بالمائدة المغربية آنذاك وبخاصة الجزر واللفت(٢).

ويلاحظ أنه كان يُستهلك كميات كبيرة من الخبز الذى يعجن فى البيت ويخبز فى فرن الحى، وقد يستعاض عنه بالكسكس والسميد المفتول المطبوخ على الفخار(٣)، كما شكَّل الحليب ومستخرجاته جزءاً مهماً من النظام الغذائى للمجتمع آنذاك، فكان فلاحو الريف المجاور لمدينة فاس يحملون الحليب إلى المدينة، كما كانت الأبقار ترعى فى أطراف المدينة وتمد المدينة ببعض الحليب(٤).

---

(١) إبراهيم حركات: "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد بنى مرين"، دعوة الحق، العدد ٤، السن ٩، ص١٠٣.

(٢) الكسكس: طعام يصنعه أهل المغرب من دقيق مبلل يحول إلى حبيبات فى حجم حبات الكزبرة تنضج فى قدر ذات ثقوب (كسكاس) تسمح بطلوع بخار من قدر أخرى ثم يخلط هذا الدقيق المتبخر بعد نضجه بالسمن ويسقى بالمرق، انظر: ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ،مرجع سابق، ج٢، ص٢١٢.

(٣) مارمول كربخال، مصدر سابق، ص١٤٨ ، ١٧٨.

(٤)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٩.

وكانتأطعمة الأثرياء من المجتمع تتضمن اللحم من الضأن أو الماعز والطيور كالحمام والدجاج، حيث كانيتم تناول اللحم الطرى مرتين فى اليوم(١)، أما الطبقات المتوسطة فكانوا يتناولونه عادةً مرتين فى الأسبوع، ويأكلون فى أوانى من الفخار الأبيض أى غير المطلى كالقصعات والقدور المختلفة(٢). أما بالنسبة للفقراء وأهل الصنائع والحرففلم يكن اللحم من المآكل اليومية لهم، حيث كانت هذه الفئات تعتمد بشكل أساسى على الخبز بأنواعه، وقد استفاد هؤلاء من الأوقاف التى كان لها الأثر الإيجابى فى توفير الغذاء لهم(٣).

أما فى الاحتفالات فكانت تقام بها الولائم سواء كان الاحتفال بالأعياد العامة أمبالزواج أم الختان – كما أسلفنا – أو عندما تأخذ أسنان الطفل فى الظهور، فيستدعى أبواه الأطفال لوليمة(٤)، حتى إذا ختم الطفل القرآن وحفظه كله أقام الأب وليمة كبيرة ودعا إليها جميع التلاميذ وأصدقاء الأب(٥).

وقد أمدت شواطئ المغرب الأقصى التى تطل على بحر الروم والبحر المحيط بكميات كبيرة من الأسماك مختلفة الأنواع، كذلك كانت أنهار المغرب مصدراً لكثير من أنواع الأسماك وبخاصة الشبوط الذى كان يدخل فى الطعام بنسبة كبيرة(٦)، فكانت الأسماك تشغل حيزاً أساسياً بالمائدة المغربية وبخاصة لهؤلاء السكان القريبين من هذه السواحل(٧)، مثل سكان مدينة بادس على ساحل بحر الروم، والتى عاش سكانها على الأسماك والسردين، بسبب اشتغال معظم السكان بالصيد وتوفر كميات كبيرة من الاسماك تكفى ما كانوا يحتاجونه(٨).

وكانت الفطائر المقلية فى الزيت (الاسفنج) يؤكل منها كميات كبيرة لاسيما فى الأعياد وقبل أيام الصيام كانت تباع لدى بائعى الفطائر بسوق الدخان، وكانت تؤكل عادةً مع اللحم المشوى أو العسل أو مع حساء يصنع بدق اللحم وطبخه ثم يصنع منه حساء سائل يصبغ

---

(١)المرجع السابق، ص٩٧.

(٢) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٦.

(٣) سعيد بن حمادة: "الأغذية والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، مدخل لدراسة العوائد والقيم"، المركز الجهوى لمهن التربية التكوين، مكناس، ص٨ وما بعدها.

(٤) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٨.

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٦١.

(٦)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٩.

(٧) القلقشندى، مصدر سابق، ص١٧٦ وما بعدها.

(٨) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٦.

بتراب أحمر، أما بالنسبة للشواء فكانت الخرفان توضع كاملة من فتحة فى أعلى الفرن حتى ينضج ويستمر الطهى خلال الليل ويشرع فى الصباح فى بيع هذا اللحم المشوى، كما كانت تباع الأكارع عادة مطبوخة، ويباع كذلك اللحم والسمك المقليان ونوع آخر من خبز خفيف مصنوع من أشرطة ومعجون بالسمن ويؤكل بالزبد والعسل، ومن عادة الفلاحين أن يتناولوا فى نفس الدكاكين هذه الأطعمة قبل أن ينصرفوا إلى أشغالهم فى الحقول(١).

نستنتج مما سبق عرضه أن الأطعمة عند المغاربة كانت متنوعة وسائغة، يتناولوها على مائدة منخفضة ولا يستعملون أية أدوات غير أيديهم، وإذا أكلوا الكسكس تناوله جميع المدعويين فى صحن واحد بدون ملاعق، ويكون المرق واللحم معاً فى قدر من فخار يتناول كل واحد منها قطعة اللحم التى تروقه ويضعها أمامه دون تقطيع، وتمسك قطعة اللحم باليد وينهش منها بالأسنان ويسرعون فى الأكل ولا يشرب أحدهم قبل أن يشبع وإذا شرب يشرب طست ماء سعتها ما يقرب من ٢ليتر(٢)، وعند وجود الضيوف فكان الرجال يتناولون فى غرفة ويجتمع النساء فى غرفة أخرى، وهذه التقاليد كلها قد نبعت من الشريعة الإسلامية الغراء(٣).

رابعاً :- الأعياد والاحتفالات:

اهتم مجتمع المغرب الأقصى فى العهد الوطاسى بالاحتفالات الدينية والأعياد والمواسم، وفى المجمل لم تختلف مظاهر الاحتفال بها عن باقى المجتمعات الإسلامية آنذاك، ومن هذه الاحتفالات رؤية الهلال (خاصة هلال شهر رمضان أو شهر شوال) حيث كان يبادر القوم بإيقاد النار لإعلام القرى المجاورة برؤيته، وكان العلماء يرون أنه "لا يجوز أن يبنى الإنسان فى رؤية الهلال إلا على عدلين محققى العدالة فأكثر"(٤).

كما احتفلوا بعيدى الفطر والأضحى،فكانت صلاة العيد من المناسبات التى يجرى الاحتفال بها على جميع مستويات الشعب، ففى ليلة العيد كان ينادى والى المدينة فى أهلها بالمسير، فيخرج أهل كل سوق متجملين بأحسن الثياب ومعهم علمهم الذى عليه رمز صناعتهم

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٣٦ وما بعدها.

(٢)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص٩٩.

(٣) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٣.

(٤) الونشريسى، مصدر سابق، ج١، ص ص٤١٠-٤١٢.

أو مهنتهم، ويبيت الناس خارج المدينة حتى الصلاة ثم ينصرفوا لبيوتهم للاحتفال والطعام ومظاهر الابتهاج بالعيد(١).

ففى عيد الفطر وبعد رؤية الهلال والإعلام بإضرام النار، يخرج الناس إلى الصلاة والتزاور وتقديم الأطعمة(٢). أما فى عيد الأضحى وبعد صلاة العيد يخرج الإمام أضحيته إلى المصلى فيذبحها بيده عند فراغه من الصلاة والخطبة كى يذبح الناس بعده، وأفتى بعض العلماء بأن من ذبح قبل ذلك لم تجزه، واتبع آخرون مذهب أبى حنيفة وأصحابه فى أن الذبح مرتبط بصلاة الإمام لا بذبحه، ويستحب للمضحى ألا يحلق شعره ولا يقلم أظفاره إذا أهَّل ذو الحجة وذلك وفقاً للسنة، وكانت تذبح الأبقار والأغنام وتوزع لحومها على الفقراء، ويعطى منها للأجير والقريب والفقير والجار(٣).

ومن الاحتفالات المهمة أيضاً الاحتفال بموسم الحج، والتى أولاها الحكام والرعية عناية خاصة وما صحبه من رحلات الحجاج إلى بيت الله الحرام، وتسجيل مشاهداتهم وتدويناتهم الدقيقة لمختلف الموضوعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية(٤)،وكان للحجيج ركاب متعددة تخرج من بلاد المغرب الأقصى وهى: الركب الفاسى والركب المراكشى والركب الشنجيطى والركب البحرى، وكان المغاربة يصلون ركب الحاج ويعينونه بالإعانات المادية الوفيرة(٥)، كما وجد بضاحية فاس أرض محبسة لرعى إبل الحاج وهى خارج باب الفتوح على ضفة نهر سبو(٦).

---

(١) القلقشندى، مصدر سابق، ج٥، ص٢٠٧ وما بعدها.

(٢) محمد بن على ابن عسكر الحسنى العلمى (ت:٩٨٦هـ/١٥٧٨م): "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر"، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٤.

(٣)القلقشندى، مصدر سابق، ج٥، ص٢٠٧ وما بعدها؛ الونشريسى، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٢-٣٥.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكى (ت: ١١٨٩هـ/١٧٧٥م): "الرحلة الحجازية"، ضبط وتعليق: عبد العالى لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص٤٠ وما بعدها.

(٥) ابن مليح (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسى ت: بعد ١٠٤٢هـ/١٦٣٣م): "أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب"، تحقيق: محمد الفاسى، فاس، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٤٢.

(٦) محمد المنونى: "من حديث الركب المغربى"، بحث تاريخى، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٣، ص١١.

ومن الاحتفالات المهمة بالمغرب الأقصى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وإعطائه أهمية خاصة، وقد تحول إلى عيد رسمى فى عهد يوسف بن يعقوب المرينى (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م)، الذى قام بتعميم هذا الاحتفال فى جميع جهات المغرب سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م[١]، وتبنت الدولة القيام بنفقات الاحتفالات[٢]، واستمر الاهتمام بهذا الاحتفال فى عهد بنى وطاس بإظهار السرور والفرح، وجُعِل هذا اليوم ميعاداً لمهمات أشغالهم ومناسبة لختان أطفالهم[٣].

فأصبح هذا اليوم وهو الثانى عشر من ربيع الأول من كل عام عيداً مولدياً عاماً يحتفل فيه المغرب على مختلف المستويات، فتقام الأفراح وتتضاعف الأضواء ويتجمل المحتفلون بما حسن من الثياب، وكان موعداً لدخول الصبيان الكتاتيب القرآنية، وكانت هذه الكتاتيب تزين لهذه المناسبة فتضاء بالشموع[٤]، ويجتمع الأطفال لترديد الصلوات النبوية وترتيل القرآن الكريم، وكذلك إنشاد قصائد فى مديح الرسول ﷺ ويأتى المعلم بمنشدين يترنمون بالأمداح النبوية طوال الليل، وكان كل أب يعطى لولده شمعة كبيرة تزن ثلاثين رطلاً أو أكثر عليها نقوش وزخرفة بالألوان والخطوط الهندسية، وصور أزهار بارزة من الشمع توقد من أول الليل إلى الشروق، وما بقى من الشمع يأخذه المعلم ويبيعه[٥].

أما طلبة المدارس فكانوا يحتفلون به سنوياً احتفالاً خاصاً بهم، فكانوا يخرجون مع أصدقائهم إلى ظاهر البلد يصحبهم الموسيقيون بآلاتهم، وكانوا يقتلعون إحدى شتلات الزهور ويضعونها فى زهرية جميلة من النحاس، وعند عودتهم يضعونها على باب المدرسة هاتفين بقولهم بأن بهذه الزهرة تزدهر المدرسة ويكثر الإقبال عليها[٦].

كما دأبت الجماعات الصوفية على الاسهام فى هذا الاحتفال، وذلك بالإطعام وإنارة الزوايا بقناديل الزجاج والشموع، وكانوا يجتمعون للوعظ والتذكير وإنشاد أشعار فى المديح

---

(١) ابن أبى زرع الفاسى: "الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فـــاس"، صور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٣٨٣.

(٢) السلاوى، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٣.

(٣) محمد المنونى: "ورقات عن حضارة المرينيين"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٥٢١ - ٥٢٦.

(٤) الونشريسى، مصدر سابق، ج٨، ص٥٤ وما بعدها، ص٢٥٤ وما بعدها.

(٥)المصدر السابق، ج١٢، ص٤٨؛ الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٦١ وما بعدها.

(٦)إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق،ج٢، ص٢٠٩.

النبوى[١]، كما كان يجتمع شعراء الملحون بقاعة سيدى فرج بالعطارين من فاس، وينظم هؤلاء الشعراء كل سنة بمناسبة المولد النبوى قصائد فى مدحه فيجتمعون فى الصباح الباكر ويصعدون الى المنصة ثم يأخذ كل واحد منهم فى إنشاد قصيدته أمام جمهور كبير من الناس، ومن قُضى له منهم بالتفوق فى النظم والإنشاد بويع أميراً للشعراء تلك السنة[٢].

ومن الجدير بالذكر كثرة المؤلفات المولدية فى هذه الفترة سواء كانت منظومة أو منثورة للعديد من العلماء والأدباء المغاربة، واهتمامهم بشرح ووضع الشروح على قصيدة البردة البوصيرية، ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المقبلى (ت: ٩٠٩هـ/١٥٠٤م) له قصيدة على وزن البردة فى مدح النبى ﷺ[٣]، وكذلك أبو العباس أحمد المعروف بابن الحاج (ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) له تآليف منها البردة ونظم عقيدة السنوسى الصغرى[٤]. ومما يجدر الإشارة إليه أن علماء المغرب لم يتفقوا على إباحة الاحتفال بالمولد النبوى، فكان منهم من ينكر ذلك مطلقاً، غير أن الذين لم يعارضوه أوصوا بالاحتراس من تسرب البدع إلى حفلاته[٥].

وبالمثل كانت عاشوراء موسماً دينيا تداخلت فيه الشعائر بالعوائد الاحتفالية، فحرص أهل المغرب على صوم يوم عاشوراء[٦]والإطعام والتصدق فيه كباقى أعياد المسلمين على بعض الفئات الاجتماعية كمعلمى الصبيان[٧].

ولقد اهتم أهل المغرب بالتعلم والدراسة منذ الصغر، فيذكر الوزان بأن مدينة فاسبهاما يقرب من مائتى مدرسة (كُتَّاب)،وفى كل منها قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال، حيث يقوم المعلم بتعليمهم فى ألواح كبيرة يكتب عليها التلاميذ، ويقومون بدراسة آي القرآن

---

(١)الونشريسى، مصدر سابق، ج١١، ص٣٨ وما بعدها.

(٢) الحسن الوزان،مصدر سابق، ج١، ص٢٦٠.

(٣)محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: "شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية"، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص٢٧٤.

(٤)المرجع السابق، ص٢٧٧.

(٥) الونشريسى، مصدر سابق، ج١١، ص٣٧ وما بعدها.

(٦) أحمد سيد حسين درويش: "الحياة الاجتماعية فى المغرب الأقصى فى العصر المرينى، دراسة تاريخية نوازلية، (٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٥م)"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٤٣٨/٢٠١٧، ص١٦٧.

(٧) الونشريسى، مصدر سابق، ج١، ص٢٢٠، ج٨، ص٢٥٤.

فيختمونه فى سنتين أو ثلاث، ثم يستأنفون ذلك عدة مرات الى أن يحذقه الطفل جيداً ويحفظه عن ظهر قلب، ثم يتعلم الطفل قواعد الكتابة(١).

وكان المعلم يتقاضى أجراً زهيداً، لذا كان يقوم والد الطفل بتقديم هدية له عند حفظ الطفل بعض آيات القرآن، حتى إذا ختم الطفل القرآن وحفظه كله أقام الأب وليمة كبيرة ودعا إليها جميع التلاميذ، وألبس الطفل لباساً فخماً وكأنه ابن أمير وأركبه متن جواد أصيل ثمين يعيره إياه أمير المدينة، ويركب الأطفال الآخرون متون الخيل ويصحبونه الى قاعة الاحتفال، وهم ينشدون أناشيد فى تمجيد لله تعالى ومدح لرسوله محمد ﷺ، ثم تكون الوليمة التى يحضرها أصدقاء الوالد ويقدم كل واحد منهم هدية للمعلم(٢).

وإلى جانب الأعياد الدينية الإسلامية اعتاد بعض المغاربة على مشاركة النصارى فى الاحتفال بأعيادهم، كالاحتفال برأس السنة الميلادية فكانوا يتناولون عشاءاً خاصاً يتكون من حساء مكون من عدد من الخضروات كالكرنب واللفت والجزر، ويطبخون عدة أنواع من الخضر مجتمعة على حالها دون تقطيع، كالفول والحمص وحبوب القمح، وفى اليوم الأول من السنة يرتدى الأطفال الأقنعة ويطوفون ويرددون بعض الأناشيد ويطلبون بعض الفاكهة من سكان المدينة(٣).كما احتفلوا بيوم القديس حنا فى الرابع والعشرين من شهر يونيه حيث كانوا يوقدون ناراً كبيرة وقودها القش احتفالاً بذلك اليوم(٤).

كما شاركت بعض العوائلالمغربية فى الاحتفال بيوم العنصرة(٥)وذلك بإجراء مسابقات أو مباريات فى سباق الخيل(٦). ومن جملة التأثير النصرانى على المجتمع المغربى الاحتفال بالسنية أو دانتسيا وهو الاسم اللاتينى للتسنين أى الاحتفال بظهور الأسنان الأولى للطفل(٧)،

---

(١) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٦١.

(٣) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٥٨؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٨.

(٤) الحسن الوزان، المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٥٨.

(٥)عيد العنصرة: هو عيد مسيحى يمثل على حسب زعمهم حلول الروح القدس على تلاميذ السيد المسيح عقب صعوده إلى السماء. انظر: المقرى، مصدر سابق، ج١، ص١٢٨.

(٦)الونشريسى، مصدر سابق، ج٦، ص٧١ ، ج١١، ص٩٢، ١٥٠ وما بعدها.

(٧)إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٨.

كما احتفل اليهود بعيد لهم يسمونه عيد الفطيرة أو عيد الفطر، وقد جرت عاداتهم فيه على صنع أرغفة من الخبز وإهدائها لجيرانهم(١).

وإن المطّلع على الكتب النوازلية بالمغرب الإسلامى يقف على شواهد كثيرة تفيد بتحذيرات العلماء من المشاركة فى أعياد غير المسلمين والفتوى بحرمة ذلك، فقد أفتى العلماء بأن ذلك من فعل الجاهلية ولا يجوز فعله(٢)، واستشهدوا بحديث النبى ﷺ أنه قال: "مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"(٣).كذلك أفتى العلماء بحرمة الاحتفال برأس السنة الميلادية وقبول الهدية بهذه المناسبة(٤).

كما سئل بعض الفقهاء عن صنع اليهود رغائف فى عيد لهم يسمونه عيد الفطر ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين، ومن العلماء من أفتى بأن قبول هدية الكافر منهى عنه على الإطلاق نهى كراهة لأن المقصود من الهدايا التودد لقوله ﷺ: "تهادَوْا تَحَابُّو"(٥)، وأن موالاتهم وإلقاء المودة إليهم من الأمور المنهى عنها واستشهدوا بقوله تعالى: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ"(٦)، فكان يرى هؤلاء الفقهاء أنه لا يحل للمسلم قبول هدايا النصارى واليهود، ويصل الحكم فى ذلك إلى الكراهة المغلظة(٧).

خامساً:- طرق التسلية:

لقد اهتم المجتمع الوطاسى بقضاء أوقات العطلة أو الراحة فى التسلى واللعب، فنجد أهل فاس قد اعتادوا أن يبنوا على سطح المنزل عدة حجيرات فسيحة ومزخرفة للتنزه والتسلية، وكانت لعبة الشطرنج هى أولى ألعاب التسلى فهى لعبة علية القوم بالمجتمع

(١)الونشريسى، مصدر سابق، ج١١، ص٢٩٣.
(٢)المصدر السابق، نفس الجزء، ص٩٢.
(٣)صحيح البخارى في فتح البارى برقم ٤١/١٣.
(٤)الونشريسى، مصدر سابق، ج١١، ص١٥٠ وما بعدها.
(٥)حديث حسن رواه البخارى فى الأدب المفرد برقم ١٣٥٣.
(٦)سورة الممتحنة، الآية (١).
(٧)الونشريسى، مصدر سابق، ج١١، ص١١١ وما بعدها.

الوطاسى كما فى باقى المجتمعات[١]، كذلك وجدت قاعات للعب فى بعض أرباض مدينة فاس والتى كانوا يلعبون فيها النرد[٢].

كما ارتبطت الحفلات الخاصة والعامة والأعياد الدينية لدى المغاربة فى عهد الوطاسيين بالعديد من مظاهر التسلى والتزين وتقديم الأطعمة، ومن أنواع السمر ما كان يحكيه القصاصون خاصة فى أيام الأعياد، حيث كانوا يتخذون لأنفسهم أمكنة فى ساحات مكشوفة على مقربة من أبواب المدن، ويقصون على مسامع الحاضرين القصص مصحوباً بدف وآلة أو أكثر من آلات الموسيقى الوترية أو النافخة، وكانت هذه الأخبار غالباً ما تكون عن المفاخر التى قام بها الأبطال القدامى وتقال شعراً أو نثراً مسجوعاً مما يجعل تنغيمها يسيراً، كما كان غيرهم من المهرجين يعرضون القردة والأفاعى المسحورة ويقرأون عليها بعض التعويذات[٣].

ووجدت ألعاب أخرى مثل ما يسمى عندنا بالتحطيب، وهو أن يجتمع الشباب فى أوقات معينة من السنة فيحمل أهل زقاق منهم العصى ليحاربوا أهل زقاق آخر، وقد يشتد العراك بينهم ويسقط البعض منهم صريعاً، ويتم التراشق بالحجارة بعد العراك بالعصى لدرجة أن يعجز رئيس الشرطة عن تفريقهم والحجز بينهم، ويقوم بإلقاء القبض على بعضهم ويدخلهم السجن، ثم يجلدون ويطوفون بهم فى المدينة[٤].

كما كانت تربية الحمام لدى المجتمع الوطاسى من الأمور التى تدخل على النفس التسلى والترويح فاهتموا بتربيته واعتنوا به عناية كبيرة، فكانوا يقتنون منه أعداداً كثيرة جميلة الشكل متعددة الألوان، وكان يتم تربية الحمام على سطوح المنازل داخل أقفاص يتم فتحها مرتين فى الصباح والمساء، ورغم ما تمثله هذه العادة من متعة كبيرة لدى المجتمع الوطاسى إلا أنه فى بعض الأحيان قد ينتج بسببها بعض الشجار نتيجة اختلاط الحمام، وكان يتم بيع الحمام فى فاس فى دكاكين تقع وسط سوق الفحامين[٥].

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٢٢.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٧٧.

(٣)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص١٠٦-١١٠.

(٤) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٩ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٥٩.

ويجدر بنا الإشارة إلى عادة قديمة توارثها البيت الملكى على مر العصور وتمثلت فى تنظيم بعض الألعاب مع الأسود والتى كان يحضرها الملك وينظمها ويتم ذلك داخل القصبة السلطانية فى ساحة واسعة(١)، يرتب فى هذه الساحة عدد من الصناديق الكبيرة يسع كل واحد منها رجلاً يقف داخلها ويتحرك بسهولة لكل صندوق باب صغير ويجلس فيه رجل مسلح، وحينئذ يطلق الأسد حراً فى الساحة، فيفتح الرجال المسلحون أبواب صناديقهم بالتناوب، ويجرى الأسد فوراً نحو الذى يراه وعندما يقترب منه يغلق الرجل بابه، ويستمر العمل هكذا إلى أن يهيج الأسد هيجاناً شديداً فيطلق ثور داخل الساحة وتنشب معركة دامية بين الحيوانين، فإذا قتل الثور الأسد انتهى المشهد ذلك اليوم، وإذا قتل الأسد الثور كان على الرجال المسلحين أن يخرجوا من صناديقهم ويحاربوه وهم اثنا عشر رجلاً يحملون بأيديهم حراباً فى طرف كل منها نصل حديد طوله ذراع ونصف ذراع، وإذا أظهر الرجال تفوقاً على الأسد أمر الملك بنقص عددهم، وإذا تفوق الأسد على الرجال سدد إليه الملك وأفراد حاشيته قاذفاتهم ورموه من أعلى الشرفات التى يشاهدون منها ذلك المنظر، وكثيراً ما يحدث أن الأسد قبل أن يموت يقتل أحد المحاربين ويجرح الآخرين، وتبلغ الجائزة التى يمنحها الملك لكل محارب عشرة مثاقيل وكسوة جديدة، وهؤلاء الرجال من أهل جبل زلاغ خاصة وهم وذوو شجاعة عظيمة، والذين يصطادون الأسد من البادية من جبل زرهون(٢).

سادساً:- عادات المآتم:

فى حالة الوفاة كان الحزن يغمر البيت، وكان يتم دفن الميت حسب الشريعة الإسلامية من غسل وتكفين ثم يصلى عليه ويحمل إلى القبر ويتبع الجنازة الرجال فقط، وكان لكل قبر شاهدان من الرخام محفور عليهما اسم الميت وتاريخ وفاته ويرافق ذلك غالباً آية من آيات الذكر الحكيم أو أدعية(٣).

---

(١)ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلمانى الخطيب ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): "الإحاطة فى أخبار غرناطة"، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج٢، ص٦ وما بعدها.

(٢) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٤ وما بعدها.

(٣)روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ص١٠٣ وما بعدها.

وللإعلان عن حالة الوفاة كان يصعد أحدهم إلى منار (مئذنة) الجامع ويقرأ شيئاً من القرآن، ويذكر بعض الابتهالات ثم يدور فى المنار معلناً وفاة فلان وجنازته فى كذا(١)، وكانت النساء يجتمعن عند وجود ميت بالدار مرتديات لباساً خشناً، ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور ثم يستدعين أولئك الأنذال الذين يتجولون وهم لابسون ثياب النساء، ليضربوا على دفوف مربعة وكانوا يرتجلون أنظاماً حزينة مبكية فى رثاء الميت(٢).

ومن البدع المحدثة عند أهل المغرب فى الجنائز والوفاة هى قيام النساء بالصراخ ولطم الخدود وشق الجيوب كما كن يقمن بخدش صدورهن وخدودهن حتى يسيل منها الدم بغزارة، وينتفن شعورهن نائحات مولولات ويتم ذلك لمدة سبعة أيام، حيث يوجد عادة مغربية تسمى "سابع الميت"، فيقوم أهل المتوفى فى اليوم السابع للوفاة بتجهيز طعاماً للقراء والفقراء ويسمى هذا الطعام بعشاء القبر، وبعد أربعين يوماً يستأنف النساء نحيبهن لمدة ثلاثة أيام، وتلك كانت عادة العامة(٣).

أما الأعيان فكان حزنهم على فقيدهم أقل ضجيجاً فكانوا يبكون الميت دون لطم الخدود أو شق الجيوب، ويستقبلون التعازى فى حين يبعث الأقارب طعاماً لأهل المتوفى، ولم يكن من عادة النساء السير خلف الجنازة(٤).

---

(١) الونشريسى، مصدر سابق، ج١، ص١١٣ وما بعدها.

(٢) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٨ وما بعدها.

(٣) الونشريسى، مصدر سابق، ج١، ص٣١٧.

(٤) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٩.

الخاتمة:

تناولت الدراسة العادات والتقاليد للمجتمع المغربى فى العهد الوطاسى من خلال الإشارات الواردة بالمصادر التاريخية وكتب التراجم والنوازل، سواء كانت متوارثة أو وافدة على المجتمع، وعرضت الدراسة لمناسبة الزواج وتكوين الأسرة بداية من دور الخاطبة والاتفاق على الصداق والجهاز، واستمرار العائلتين فى التجهيز لهذه المناسبة إلى أن يتم الإعلان عنه بالمسجد وعقد الزواج، وما يتبع ذلك من احتفالات وهدايا وطقوس وعوائد متعارف عليها بالمجتمع.

وقد بينت الدراسة تعدد أنواع الألبسة بالمغرب الوطاسى، بالإضافة إلى أثاث البيت كالبسط والنمارق والفرش والستور والديباج والملاحف والطيلسة والأكسية، وغيرها مما يدل على اتساع قطاع الإنتاج من النسيج والخياطة فى بلاد المغرب آنذاك، كما أظهرتالتأثير الأندلسى على المجتمع الوطاسى فى وجود أنواع مستحدثة من الثياب ظهرت فى الشوشة الزرقاء فى لباس الرأس والتى لم تكن معروفة من قبل دخول الأندلسيين للمغرب.

وتعرضت الدراسة إلى النظام الغذائى للمغاربة فى العهد الوطاسىوالذى اختلف حسب الطبقة الاجتماعية وإن كان بوجه عام تُستهلك كميات كبيرة من الخبز الذى يعجن فى البيت ويخبز فى فرن الحى، واشتمال وجبة الأثرياء يوميا على اللحم من الضأن أو الماعز والطيور كالحمام والدجاج، بعكس باقى الطبقات بالمجتمع. كما تعرضت الدراسة إلى إمداد شواطئ المغرب الأقصى بكميات كبيرة من الأسماك مختلفة الأنواع، كذلك الأنهار التى كانت أيضاً مصدراً لكثير من أنواع الأسماك، وأن الأسماك كانت تشكل حيزاً من المائدة المغربية. كما أظهرت الدراسة أنه من أهم العادات فى المناسبات والاحتفالات الموائد والإطعام، وكذلك الفطائر المقلية والتى كان يؤكل منها كميات كبيرة لاسيما فى الأعياد، وبينت مدى تنوع الأطعمة عند المغاربة والتى كانت متنوعة وسائغة.

وأبرزت الدراسة مدى اهتمام المجتمع المغربى فى العهد الوطاسى بالاحتفالات الدينية والأعياد والمواسم، والتى لم تختلف مظاهر الاحتفال بها عن باقى المجتمعات الإسلامية آنذاك، ومن هذه الاحتفالات رؤية الهلال (خاصة هلال شهر رمضان أو شهر شوال) والاحتفال بعيدى الفطر والأضحى،بإظهار البهجة وتقديم الأطعمة والتزاور، وكذلك الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وإعطائه أهمية خاصة، فكان عيداً مولدياً عاماً يحتفل فيه المغرب على

مختلف المستويات، فتقام الأفراح وتتضاعف الأضواء ويتجمل المحتفلون بما حسن من الثياب، مع إنشاد قصائد فى مديح الرسول ﷺ والإطعام وإنارة الزوايا بقناديل الزجاج والشموع.

كما أظهرت الدراسة مشاركة بعض العوائل المغربية فى الاحتفالات بأعياد النصارى واليهود كالاحتفال برأس السنة الميلادية والاحتفال بيوم القديس حنا فى الرابع والعشرين من شهر يونيه، والاحتفال بيوم العنصرة وبالسنية أو دانتسيا وهو الاسم اللاتينى للتسنين أى الاحتفال بظهور الأسنان الأولى للطفل، وبينت الدراسة موقف العلماء من المشاركة فى أعياد غير المسلمين والفتوى بحرمته وبأن ذلك من فعل الجاهلية ولا يجوز فعله.

وبينت الدراسة تأثر المجتمع المغربى بالأحداث العالمية خاصة بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م والتى كانت إيذاناً بهجرة كبيرة للمسلمين بالأندلس، فنزح العديد من الأندلسيين إلى بلاد المغرب على فترات متتابعة من قبل سقوط قرطبة وبعدها فراراً من اضطهاد الأسبان، مما كان له أكبر الأثر فى التزاوج الحضارى بسبب المصاهرة والمعاملات والتساكن بين الوافدين والسكان المحليين، خاصة بالمدن التى استقر بها الأندلسيون مثل فاس وتطوان وسلا والرباط.

وأظهرت الدارسة كيفية قضاء أوقات العطلة أو الراحة فى المجتمع الوطاسى والتى تنوعت فى العديد من عادات التسلى واللعب، فوجدت عدة حجيرات فسيحة ومزخرفة على أسطح المنازل للتنزه والتسلى، ومن مظاهر التسلى السمر ما كان يحكيه القصاصون خاصة فى أيام الأعياد، وكذلك ألعاب الشطرنج والتحطيب وتنظيم بعض الألعاب مع الأسود من قبل البيت الحاكم.

كما تعرضت الدراسة إلى عادات المجتمع المغربى فى هذه الفترة عند وجود حالة وفاة بالمنزل والعادات المرتبطة بها سواء كانت مما تحض عليه الشريعة كالغسل والتكفين والصلاة، أو التى حذر منها الشرع لكونها بدعاً مستحدثة، كاجتماع النساء بالدار مرتديات لباساً خشناً، ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور، وقيامهن بالصراخ ولطم الخدود وشق الجيوب وغيرها من البدع التى ترتبط بهذه المناسبة.